

مقدمة

قبل التعرض لماهية البحوث المسحية والخوض في تفاصيلها لأبد من إلقاء الضوء على تاريخ هذا المنهج وبدايته باعتباره من أقدم الطرائق المستخدمة في البحث العلمي . وهي طريقة مميزة تدين بتطورها الى علم الاجتماع , فعلى الرغم من أنها تعتبر من الطرائق الحديثة إلا أن جذورها التاريخية ترجع لعهود قديمة فقد بدأت مع الفراعنة في تعداد السكان وحصر المحصول .

اما بدايتها في العصر الحديث فتبلورت في منتصف القرن الثامن عشر فيما قام به جون هوارد (١٧٢٦-١٧٩٥) من مسح لنظام السجون في إنجلترا واستخدامه كطريقة للبحث بصورة موضوعية منتظمة في عام ١٨٨٦ بدراسة بوث المسحية (١٨٨٩-١٩٠٢) عن عمل حياة سكان مدينة لندن وبذلك يعتبره البعض أب المسوحات الاجتماعية كطريقة علمية.

كما يعد منهج البحث المسحي من أكثر طرق البحث التربوي استعمالاً لأنه يمكننا من جمع وقائع ومعلومات قدر الإمكان عن ظاهرة معينة أو حادثة مخصصة أو جماعة من الجماعات أو ناحية من النواحي (صحية, تربوية, اجتماعية).

يعمل الباحث فيه على تحليل واقع الحال للأفراد في منطقة معينة من أجل توجيه العمل في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب .

وقد تطور المنهج المسحي بتطور البحوث العلمية فصار من أكثر الطرق استخداماً فنجد في صفحات الأنترنت لمسح آراء المتصفحين في قضية ما , أو في شاشات التلفاز عند مناقشة سلوك أو ظاهرة معينة لذا فقد حضي المنهج المسحي في وقتنا الحاضر بممارسات جعلت منه منهجاً علمياً حيويًا وفعالاً.

البحوث المسحية :

البحوث المسحية من أقدم الطرق المستخدمة في البحث, ويندرج تحت هذا النوع عدد من مناهج البحث التي تشترك في هدف واحد هو الحصول على معلومات من مجموعة من الافراد بشكل مباشر. حيث يلجأ الباحث في هذا النوع الى توجيه مجموعة من الأسئلة الى مجموعة من الافراد يطلق عليهم المستجيبين, والاداة المستخدمة في الحصول على البيانات في البحوث المسحية هي غالباً الاستبيان أو المقابلة . إلا أن استخدام الاستبيان والمقابلة لا يشكل في حد ذاته بحثاً مسحياً , لأن هاتين الأداتين لا تعرفان البحث المسحي , ولكن اسلوب استخدامهما هو الذي يحدد البحوث المسحية. ويستخدم المنهج المسحي على نطاق واسع في علم الاجتماع , وادارة الاعمال, والعلم والسياسة, وعلم الاقتصاد, بالإضافة الى التربية وعلم النفس, ولقد زاد في السنوات الاخيرة عدد الموضوعات التي تغطيها البحوث المسحية , كما تعددت أساليب البحث التي تستخدمها حتى أنه لا يمضي اسبوع من دون أن نسمع أو نقرأ في المجالات العلمية نتائج بحث أو أكثر من البحوث المسحية.

وتتضمن البحوث المسحية الحصول على المعلومات بشكل مباشر من المشاركين في البحث عن طريق طرح مجموعة من الاسئلة, وقد توجه هذه الاسئلة مكتوبة أو شفوية, في وقت واحد, ويعطي الفرد الاستجابة عند طرح السؤال, وعلى هذا يمكن القول أن هناك تعاوناً بين المستجيب والباحث في جمع المعلومات المطلوبة, إلا أن الباحث يسأل والمشارك يعطي الاجابة, ولذلك فأن هناك تفاعلاً بين المستجيب والباحث, حتى وأن كانت الاسئلة تقدم مكتوبة, إلا أن عملية التفاعل تكون اكثر وضوحاً عند تقديم الاسئلة شفويا , كما هو الحال في المقابلات . وتحلل بيانات البحوث المسحية وفقاً لأهداف البحث .

ورغم أن الاستبيانات والمقابلات قد تكون جزءاً من أي مشروع من مشاريع البحث , إلا أن حجم العينة يساعد في تمييز البحوث المسحية عن غيرها من مناهج البحث . فحجم العينة في البحوث المسحية كبيرة بوجه عام , إلا أنه من الصعب تحديد مدى معين لحجم العينة . فقد يتراوح حجم العينة من ١٠٠ الى عدد قد يزيد على ١٠٠ مليون , كما هو الحال في تعداد السكان .

وبالطبع فأن الحصول على معلومات من مجموعة المشاركين بشكل مباشر أكثر فاعلية لبعض أغراض البحث منه بالنسبة لأغراض أخرى, والبحاث المسحية أكثر ملاءمة للبحوث التي تعرض للوصف والتنبؤ , وأن كانت تستخدم أحياناً لأغراض الاستطلاع , لكنها تكون في هذه الحالة اقل فاعلية . ونظراً لأننا لا نعالج المتغيرات في البحوث المسحية , لا يمكن القيام بالبحوث المسحية بغرض تحقيق علاقات العلة والمعلول .

والوصف هو أكثر اغراض البحوث المسحية , وفضل الامثلة على ذلك تعداد الذي يتم في العراق كل عشر سنوات , والذي يشمل جميع افراد المجتمع , وأن كانت العينة تستخدم أحياناً في القيام بالتعداد, ويستخدم بعض الباحثين بيانات التعداد كأساس لتحديد عينات البحوث التي يقومون بها , وبخاصة عندما يرغبون في الحصول على عينة ممثلة للمحافظات, كلها أو بعضها, في العراق وتعتبر الامتحانات التي يجريها المدرس في الفصل صورة مصغرة من البحوث المسحية , فعن طريق الاستبيان , يطلق عليه في هذه الحالة امتحان , يقوم المدرس بالحصول على معلومات

عن مستوى التحصيلي للتلاميذ في مادته . الا أن الامتحانات تفتقر الى عنصر هام على الاقل من عناصر البحث العلمي , وهو التقرير النهائي عن البحث والذي ينشر على المجتمع بإحدى طرق النشر .

ورغم أن البحوث المسحية تستخدم الاستبيان أو المقابلة الا أن البحوث المسحية اكثر من مجرد توجيه مجموعه من الاسئلة . والقاعدة الأولى في البحوث المسحية هو معرفة نوع البيانات التي يريد الباحث الحصول عليها , ولذلك يجب القيام بالبحوث المسحية في ضوء مجموعة من الاهداف يريد البحث تحقيقها . ولذلك يتطلب البحث المسحي الجيد وقتا وجهدا كافيين لا خراج البحث في صورة سليمة .

وتعد البحوث المسحية من وسائل تحقيق البحوث العلمية . فاذا كان الغرض من البحث العلمي هو تغيير آراء مجموعة كبيرة من الناس , فإن البحوث المسيحية وسيلة جيدة لتحقيق هذا الغرض . ويصف باك(١٩٨٠) الدور المهم للبحوث المسحية في برنامج بحثي مكثف لتوجيه الناس , فقد استخدم المنهج المسحي في تقويم مدى فاعلية الحملات الاعلامية التي تهدف الى تغيير اتجاهات الناس نحو تنظيم النسل . الا أن استخدام الملاحظة المنظمة . أي القياس غير المباشر , افضل في حالة البحوث العملية بشكل عام من البحوث المسحية . ففي دراسة ضبط النسل مثلا فإن الحصول على معلومات عن معدل الميلاد هو افضل وسيلة لتقويم مدى فاعلية هذا البرنامج في منطقة من المناطق . ويمكن أن يساعد المنهج المسحي في ابراز بعض العوامل التي أدت الى التغيير , ولكن البحوث المسحية نفسها ليست وسيلة فاعلية لقياس التغيير ذاته .

وبشكل عام يفضل استخدام البحوث المسحية كأساس للحصول على البيانات التي يمكن التعبير عنها في صورة تكرارات , وبمعنى آخر , فأنا نستخدم البحوث المسحية عندما نرغب في معرفة معلومات الناس حول موضوع معين دون معرفة سبب تفكيرهم في هذه المعلومات .

بيانات البحوث المسحية : هناك ثلاثة أنواع من البيانات التي نحصل عليها من المشاركين في البحث المسحي هي :

- ١- الحقائق .
- ٢- الآراء .
- ٣- السلوك .

ورغم أن معظم البحوث المسحية تتضمن الأنواع الثلاثة , إلا أننا سوف نناقش كل نوع على حدة , لأن لكل منها معنى فيها يتعلق بالبحوث المسحية .

والحقيقة ظاهرة أو خاصية تتوافر لأي فرد مادام يعرف كيف يلاحظها, وكثيرا ما يطلق على الحقيقة خاصية اجتماعية أو بشرية عندما تتعلق بمتغيرات مثل النوع أو الدخل أو عدد سنوات التعليم والحقائق هي أي شيء يمكن التحقق منه بشكل مستقل موضوعي .

والرأي تعبيرا عن تفضيلات المستجيب أو مشاعره أو مقاصده السلوكية ويمكن قياس الآراء بشكل موضوعي, فقد أعبّر عن رأي معين يتضمن قصدا للقيام بعمل ما, ولكن لا يوجد وسيلة

للتحقق فعلا من أنني سوف اقوم بما ذكرت أو أنني اعتنق هذا الرأي , الا اذا قمت بهذا العمل فعلا.

والفرق الرئيس بين الحقيقة والرأي هو أن الحقيقة تعبر عن شيء ملموس يمكن التحقق منه اجرائيا , فمثلا اذا أردنا التحقق اجرائيا من عمر شخص ما فأنا ننظر الى تاريخ ميلاده في شهادة الميلاد , ونحسب عمره بطريقة لا يمكن الاختلاف عليها. أما الرأي فيعبر عما يعتقده فيه الشخص أو يشعر به أو يؤمن به , وهي امور نسبية تختلف من شخص لآخر , فمثلا قد لأنتفق على القول أن جلوسي أمام الحاسب الآلي واستخدامي لمعالج الكلمات في كتابة هذا الكتاب هو تعريف اجرائي لمقاصدي من الانتهاء من تأليف كتاب في مناهج البحث, ومع هذا فإن عدم الاجماع على تعريف اجرائي للرأي لا يعني بالضرورة أن الحقائق أكثر صدقا من الآراء في وضع التعريفات الاجرائية لأنه يمكن التحقق من صدق الرأي بأساليب احصائية متعددة .

والنوع الثالث من البيانات المتعلقة بالبحوث المسحية , هو السلوك الذي يشير الى فعل أو عمل قام به المستجيب , ومن الاسئلة المتعلقة بالسلوك : "ما عدد المرات التي زرت فيها المكتبة هذا الاسبوع ؟" ولا يمكن التحقق من هذا السلوك كما هو الحال في الحقائق إلا بملاحظة هذا السلوك ملاحظة مباشرة , وبدون هذه الملاحظة المباشرة يصبح السلوك مثله مثل الرأي , غير قابل لتحقيق صدقه.

وبالرغم من أن الآراء تحتوي على عنصر سلوكي , إلا أن هناك فرقا بينهما, فالرأي يتضمن مقصداً, والسلوك يتضمن فعلاً . مثال ذلك السؤال : "ما عدد المرات التي تنوي فيها زيارة المكتبة في الاسبوع المقبل؟" ونحن في هذه الحالة نسأل عن مقاصد أو نوايا الفرد وليس عن سلوكه الفعلي أي نسأل عن. اما عندما نسأل عن : كم مره ذهبت الى المكتبة في الاسبوع الماضي ؟" فنحن نسأل عن سلوك الفرد , ولا نسأل عن رايه .

والسلوك مثل الحقائق تعتمد على التقارير الذاتية في التحقق من صدقه , إذا لم يتوفر لدينا وسيلة موضوعية مستقلة للتحقق من ذلك , الا أن التقارير الذاتية لا تكون دقيقة في التحقق من صدق السلوك . وهناك دائما في أي نظام تصنيفي بعض الأشياء التي لا ينطبق عليها التصنيف . والمعلومات واحدة من هذه الأشياء, فعندما يقيس اساتذة الجامعة مثلا المعلومات فإنهم يستخدمون اختبارات معينة . وقد يقوم بعض الباحثين بقياس المعلومات في مجال تخصصهم . الا أنه من الصعب القول أن المعلومات والحقائق شيء واحد . فلا بد من أن نحدد ما اذا كانت المعلومات التي لدينا حقائق أم سلوكاً أم رأياً حتى نقوم بتحليلها, ولحسم هذه المشكلة يجب أن نحدد كيف ننظر الى هذه المعلومات . فدرجة الاختبار مثلا لأنه يمكن تحقيقها يمكن اعتبارها حقيقة , اما اذا نظرنا الى المعلومات على أنها تذكر الطالب لشي ما , يمكننا أن نعتبرها هذه المعلومات سلوكا , وفي هذه الحالة هذه المعلومات كتعريف اجرائي لسلوك التذكر , اما اذا كانت المعلومات رأيا (الاعتقاد بأهمية معلومات معينة), فإنها تعرف في هذه الحالة على أنها رأي ويجب تحليلها في هذا الاطار, ويكمن حل هذه المشكلة بتحديد غرض الباحث : فاذا كان يستخدم المعلومات التي لديه كتعريف اجرائي لسلوك ما , وجب عليه أن يتعامل مع هذا المتغير كما يتعامل مع أي مقياس للسلوك .

ونظرا لأن معظم البحوث المسحية تحتوي على الأنواع الثلاثة , الحقيقة والرأي والسلوك , يميل الباحثون الى تجاهل التمييز بينهما , الا أن هذا التجاهل قد يسبب أخطاء في البحث , وبخاصة اذا كان الامر يتطلب تحديد أولوية محتوى معين على المحتويات الاخرى .

تصنيف البحوث المسحة :

يصنف اري وزملائه البحوث المسحة في قسمين وفقا لمجال البحث , ووفقا للاطار الزمني المستخدم :

بالنسبة الى مجال البحث (تعداد ومسح العينات) .

بالنسبة للاطار الزمني (البحوث الطولية والبحاث العرضية) .

أ-البحوث المصنفة وفق مجالها:

البحث الذي يغطي المجتمع بأكمله يطلق عليه التعداد مثال ذلك عملية التعداد التي يقوم الجهاز المركزي للإحصاء كل عشر سنوات للسكان في العراق, ولا يشير مصطلح مجتمع الى سكان الدولة , ولكن الى جميع أفراد أو عناصر المجموعة التي يوجه اليها البحث. ويحدد الباحث المجتمع الذي يدرسه ,ثم يختار عينة من هذا المجتمع لدراستها نظرا لصعوبة أو استحالة دراسة المجتمع الذي حدده كما سبق أن اشرنا أكثر من مرة . والبحث المسحي الذي يدرس عينة من المجتمع يطلق عليه "مسح العينات" .

وقد تقتصر الدراسة المسحية على حصر بعض العناصر المحسوسة , مثل : ما نسبة عدد الاطفال الملتحقين برياض الاطفال الحضانات في العراق ؟ أو ما كثافة الفصل في المرحلة الابتدائية في منطقة بعقوبة الشمالية التعليمية ؟ إلا أن أصعب أنواع البحوث المسحية هي تلك التي توجه نحو دراسة المفاهيم غير المحسوسة مثل استطلاعات الرأي , والاتجاهات , والقيم , وغيره ذلك من المفاهيم . النفسية الاجتماعية, ففي مثل هذه الدراسات يجب ألا يهتم الباحث بأسلوب المعاينة المستخدم فقط , بل يجب عليه كذلك أن يختار أو يبني المقياس المناسب للمفاهيم الذي يقوم بمسحها , واستخدام ما يحصل عليه من درجات القياس في الوصول الى تفسيرات ذات معنى لهذه المفاهيم . ويصنف اري وزملائه البحوث المسحية وفقا لمجالها على أربعة أقسام :

- ١- تعداد المحسوسات .
 - ٢- تعداد غير المحسوسات .
 - ٣- مسح العينات لمتغيرات محسوسة .
 - ٤- مسح العينات لمتغيرات غير محسوسة .
- ولكل واحد من هذه الأنواع مزاياها ومشكلاتها

١- **تعداد المحسوسات:** عندما يهدف الباحث الى الحصول على المعلومات تتعلق بمجتمع صغير , مثل مدرسة واحدة, وعندما تكون المتغيرات التي يدرسها متغيرات محسوسة , فإن الحصول على البيانات المطلوبة تكون عملية مباشرة وسهلة , فاذا أراد مدير مدرسة مثلاً حصر عدد الادراج في فصول مدرسته , وعدد الأطفال الذين يستخدمون حافلة المدرسة , أو عدد المدرسين الحاصلين على مؤهل تربوي , فإن العد البسيط يزوده بالمعلومات المطلوبة , ونظرا لأن الدراسة تغطي المجتمع بأكمله فإن ثقة ناظر المدرسة تكون كاملة في البيانات التي حصل عليها . ذلك أن القياس

في هذه الحالة موجه نحو متغيرات معرفة تعريفاً جيداً واضحاً , وما دامت عملية العد تمت في دقة وأمانة , يستطيع مدير القول بمنتهى الاطمئنان أن لديه مثلاً في مدرسته ٧٤٦ درجاً من ادراج التلاميذ حسب الحصر الذي تم في أول سبتمبر أو أن ٦٠٪ من اطفال المدرسة يستخدمون حافلة المدرسة , أو ٥٥٪ من مدرسي المدرسة حاصلون على مؤهلات تربوية , وقوة تعداد من هذا النوع هو أن بياناته غير قابلة للشك, ألا أن ضعفه يكمن في أن هذه البيانات قاصرة على مدرسة واحدة أي على مجتمع محدود من الزمن والمعلومات التي يوفرها مثل هذا التعداد قد تكون لها أهمية كبيرة بالنسبة لمجموعة محدودة , ألا أن مثل هذه الدراسات المسحية لا تضيف شيئاً للمعرفة التربوية .

٢- **تعداد غير المحسوسات :** لنفرض أن ناظر المدرسة يريد الأن معلومات عن مستوى تحصيل التلاميذ , أو طموحاتهم , أو الروح المعنوية للمدرسين , أو اتجاه الاباء نحو المدرسة , في هذه الحالة سوف تكون مهمته اصعب , لأن هذا التعداد يتناول تكوينات ومفاهيم غير قابلة للملاحظة المباشرة , ولكن يجب استنتاجها من مقاييس غير مباشرة والمشكلة الأساسية في هذا النوع من التعداد هي أننا نتعامل مع تكوينات فرضية وهي أساساً مفاهيم مجردة غير قابلة للملاحظة المباشرة , ولكي نقيس هذه المفاهيم المجردة لابد أولاً أن نعرفها تعريفاً اجرائياً , ولا بد كذلك أن تكون الأدوات التي نستخدمها في قياسات أدوات صادقة ثابتة . فاذا وضعنا اختبارات مثلاً لقياس المستوى التحصيلي للطلبة لابد أن تكون هذه الاختبارات قد وضعت بحيث تقيس الاهداف التربوية المصممة للصف الذي نزع قياس مستواه التحصيلي . وهناك متغيرات أخرى كثيرة أصعب في قياسها من قياس المستوى التحصيلي , لأنه ليس لدينا مقاييس المناسبة لقياسها . ولذلك تظل كثيراً من المشكلات التربوية بعيدة عن الدراسة , مثال ذلك المشكلات التي تتعلق بنجاح المدرس في عمله , ودافعية الطلبة , والتوافق النفسي , وغير ذلك من المتغيرات التي يصعب تعريفها وقياسها اجرائياً .

٣- **مسح العينات لمتغيرات محسوسة :** عندما يريد الباحثون الحصول على معلومات عن مجموعة كبيرة , فإن تكاليف الحصول على هذه المعلومات تكون باهضة . ولذلك لابد من استخدام اسلوب المعاينة. لاختيار عينة نحصل منها على البيانات المطلوبة و ومن هذه البيانات نعمل بعمل استدلال على المجتمع كاملاً , وقد راينا من قبل أنه عندما تتم المعاينة بشكل سليم يمكن الوثوق في التعميمات التي نعمل بها على المجتمع .

لنفترض أننا نريد دراسة مدى تساوي فرص التعليم بين المجموعات المختلفة في العراق في الحضر والريف , وبين البنين والبنات . أننا في هذه الحالة لابد من الحصول على عينات كافية من مختلف المحافظات العراقية وبحيث تمثل فيها المدن والريف والمناطق الصحراوية والنائية , والبنين والبنات . لنرى نسبة التعليم في كل قطاع من القطاعات , وهل هناك تشابه بين المدن والريف . ام أن هناك زيادة في تعليم اطفال المدن على حساب اطفال القرى . وهل نسبة أنتشار المدارس على اختلاف مراحلها واحدة في المحافظات المختلفة . وهكذا , وتتطلب مثل هذه الدراسة عينات كبيرة نسبياً حتى يتمكن تمثيل متغيرات المجتمع المطلوبة بشكل كاف .

٤- **مسح العينات لمتغيرات غير محسوسة :** وخير مثال لهذا النوع من الدراسة هو استطلاعات الرأي العام التي تتناول التكوينات والمفاهيم غير المحسوسة , فالرأي غير قابل للملاحظة المباشرة

, ويجب استنتاجه من الاستجابات التي يعطيها المشاركون في الاستطلاع على الاستبيان أو خلال المقابلة , وقد ظهرت استطلاعات الرأي في الثلاثينات من القرن العشرين ونمت في دول العالم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا . واستطلاعات الرأي العام مهمة للغاية عندما نريد التعرف على اتجاهات الرأي العام نحو قضية معينة تشغل بال المجتمع والمسؤولين . وعندما يعطي المستجيبون آراءهم بحرية تكون هذه الاستطلاعات وسيلة جيدة للغاية في تقدير اتجاهات المجتمع وآرائه نحو القضايا الاجتماعية والسياسية على وجه الخصوص. وتوفر لنا مثل هذه الاستطلاعات نموذجاً جيداً لفائدة تحليل متغيرات العينة في تقدير معالم المجتمع . ولكن إذا حدث وعبر المؤيدون للقضية عن آرائهم بحرية , في حين تحفظ المعارضون في الكشف عن آرائهم , فإن احتمالات الخطأ تزداد بصورة واضحة وتصبح النتائج متأثرة بهذه الأخطاء وبالتالي تضعف ثقتها فيها.

ويمكن لنفس الدراسة المسحية تناول المحسوسات وغير المحسوسات في نفس الوقت, فقد نوزع استبياناً على الطلبة لاستطلاع آرائهم حول مواعيد بدء الدراسة مثلاً , ونقوم في نفس الوقت بتطبيق اختبار للذكاء واختبار تحصيلي عليهم لدراسة الفروق بين المجموعات المختلفة من حيث المستوى التحصيلي والقدرة العامة والطبقة الاجتماعية , بالإضافة إلى العلاقة بين هذه المتغيرات والمتغيرات المحسوسة .

ب- البحوث المصنفة وفقاً للبعد الزمني تصنف لبحوث المسحية وفقاً للزمن الذي جمعت فيه البيانات إلى بحوث عرضية تركز على دراسة المتغيرات في فترة زمنية معينة . وندناول كل نوع منها بشي من التفصيل :

أولاً : البحوث المسحية الطولية :

يتم في هذا النوع من البحوث جمع البيانات على فترات زمنية مختلفة لكي ندرس التغير على مدى فترة زمنية طويلة. فقد يرغب باحث في دراسة نمو القدرة العقلية لتلاميذ المرحلة الابتدائية . في مثل هذا البحث يطبق الباحث تطبيق اختبار القدرة العقلية على تلاميذ الصف الأول الابتدائي , ويقوم الباحث بتتبع أفراد العينة من نفس المتغيرات خلال الصفوف الدراسية المتعاقبة, فيجري اختبار القدرة العقلية كل عام ليرى كيف تتطور هذه القدرة من سنة إلى أخرى ويستخدم في هذا النوع من البحوث ثلاثة أنواع مختلفة من التصميمات : المجموعة المختارة , دراسة التوجهات , ودراسة المجتمع الخاص , وندناول كل منها بشي من التفصيل .

١- المجموعة المختارة : في هذا التصميم يقوم الباحث بدراسة نفس الأفراد عبر فترة زمنية طويلة نسبياً يتم فيها إعادة اختبار نفس المجموعة من الأفراد , ونظراً لأن الباحث يقوم بدراسة نفس الأفراد فترة زمنية طويلة يستطيع أن يرى التغيرات في سلوك الفرد ويحاول استقصاء سبب هذه التغيرات , ويهتم هذا النوع من الدراسات عادة بالجوانب النامية والتطورية وتتبع الأفراد . ومن الأمثلة الكلاسيكية لهذا التصميم الدراسة التي قام بها «ترمان» على المتفوقين عقلياً والتي امتدت على مدى يزيد ثلاثون عاماً , ومن الأمثلة الأخرى على هذا التصميم تلك الدراسة المسحية للتدخين التي أجريت في جامعة أنديانا , وتتبع الباحثون نفس المجموعة من الأفراد منذ عام ١٩٨٠ وقامت هذه الدراسة بمسح آراء ٨٠٠٠ من طلبة المرحلة الثانوية في التدخين . وقد تبين

من هذه الدراسة أن الطلبة الأقل اهتماما بعملهم الدراسي والأكثر تمرداً هم كانوا أكثر احتمالاً في بدء التدخين في سن مبكر أكثر من زملائه المهتمين أكثر بدراساتهم.

٢- **دراسة التوجهات :** يتم في هذا النوع من الدراسات المسحية اجراء المسح على أناس مختلفين من نفس المجتمع في أوقات مختلفة . مثلا اذا أراد باحث اجراء دراسة مسحية للمستوى التحصيلي لطلبة المرحلة الاعدادية في اللغة العربية ,فأنه يقوم بمعاينة مجتمع المرحلة الاعدادية في فترات مختلفة من الزمن ويقوم بقياس مستواهم التحصيلي في اللغة العربية . بالرغم من عدم اختبار نفس الافراد كل مرة , الا أن اختيار عينة عشوائية من نفس مجتمع المرحلة الاعدادية , يجعل من الممكن اعتبار النتائج في كل مرة ممثلة لمجتمع المرحلة الاعدادية التي سحب منها أفراد العينة من الطلبة . وتقارن نتائج الاختبارات من سنة لأخرى للتعرف على أي توجهات يمكن أن تحدث في المستوى التحصيلي . ومن أمثلة الدراسات المسحية للتوجهات تلك الدراسة التي اجراها معهد الدراسات الاجتماعية بجامعة ميتشغان في الولايات المتحدة الامريكية على استخدام المخدرات بين المراهقين الامريكيين . اذ تم في هذه مسح استجابات طلبة الصف النهائي بالمرحلة الثانوية منذ عام ١٩٧٥ . كما تم جمع استجابات طلبة الصفين الثاني الاعدادي والأول الثانوي منذ ١٩٩١ . وقد شملت الدراسة الاحداث ٥١٠٠٠ طالب في ٤٠٠ مدرسة في مختلف مناطق الولايات المتحدة الامريكية ووجدت الدراسة أنه لأول مرة منذ عشر سنين تحدث زيادة في تناول المخدرات المحضورة واذ اظهرت نتائج نسبة اقل من الطلبة لا توافق على تعاطي المخدرات وأن قلة منهم من يرونها أنها تمثل خطرا عليهم.

٣- **دراسة مجتمع الخاص في هذا النوع من الدراسة المسحية الطولية يتم تتبع مجتمع خاص مدى فترة طويلة من الزمن, وبينما نجد أن دراسة التوجهات تعين مجتمعا يتغير عضويته من وقت لآخر , فإن دراسة المجتمع الخاص تعين مجتمعا لا يتغير اعضاءه طوال فترة الدراسة المسحية مثال ذلك قد يرغب باحث في تتبع طلبة المتخرجين من المرحلة الثانوية في احدى السنين يقوم بتتبعهم ويسالهم اسئلة عن التعليم العالي , وخبرات العمل واتجاهاتهم , وغير ذلك من الاسئلة , يحصل الباحث على قائمة بأسماء جميع الخريجين ومنها يختار عينة عشوائية ويجمع بياناته من هذه العينة , وبذلك نجد أن المجتمع يظل هو نفسه , ولكن الافراد الذين تم استجابتهم يختلفون في كل مرة .**

ثانيا : البحوث المسحية العرضية :

ويتم هذا النوع من الدراسة المسحية بدراسة عينة من المجتمع في فترة زمنية محدودة , وذلك بعكس ما يتم في الدراسات الطولية , مثال ذلك قد يقوم باحث بدراسة النمو والتطور لدى مجموعات من الافراد من اعمار مختلفة في نفس الفترة الزمنية مثال ذلك قد نقوم بقياس بعض الخصائص لدى الاطفال في عمر ٤-٦ و٧-٨ و٩ ثم نلاحظ اختلافات في الخصائص بين كل مجموعة واخرى .

ومن اهم مساوئ البحوث العرضية أن فروق الصدفة بين العينات المختلفة قد تؤدي الى الحصول على نتائج متحيزة فقد يحصل الباحث على عينة اكثر نضجا من عينة اخرى , أو عينة

أكثر ذكاء من عينة أخرى وهكذا أي أن عوامل الخطأ قد تؤثر في هذا النوع من البحوث إذا لم تكن المجموعات التي ندرسها متكافئة في المتغيرات الشخصية والبيئية المهمة وهذا الأمر لا يحدث في الدراسة الطولية .

إجراءات البحوث المسحية :

تسمح لنا المسحية بجمع المعلومات من عينة كبيرة في وقت قصير وبنفقات قليلة نسبياً . إلا أن إجراء الدراسة المسحية ليس بالسهولة التي يبدو بها ، إذ يتطلب البحث المسحي تخطيطاً دقيقاً كما يتطلب تنفيذ البحث وتحليل النتائج وإذا كنا نريد الحصول على معلومات صادقة .

هناك خمس خطوات أساسية للبحث المسحي :

١- **وضع خطة البحث :** يبدأ البحث المسحي بسؤال يعتقد الباحث أن أفضل إجابة عنه تتم باستخدام المنهج المسحي . مثال على ذلك ما شعور مدرسي المرحلة الابتدائية نحو الانتقال إلى صف آخر ؟ وما نسبة التدخين بين مرحلة الثانوية ؟ هذان السؤالان يمكن الإجابة عليهما بالمنهج المسحي . والسؤال المسحي يتعلق عادة بالمعتقدات والاتجاهات والرغبات أو غير ذلك من السلوك الذي يمكن الحصول على بيانات عنه عن طريق التقرير الذاتي للأفراد من خلال البحث . ومن المهم للغاية في مرحلة التخطيط للبحث أن يحدد الباحث المجتمع الذي يريد تعميم النتائج عليه . فقد يتكون مجتمع البحث من جميع مدرسي المرحلة الابتدائية في إحدى المحافظات أو جميع المرحلة الثانوية في جميع مدارس الجمهورية .

٢- **المعاينة :** المعاينة من أهم أركان البحوث المسحية . ولذلك يجب على الباحث أن يحدد حجم عينه بعينه واسلوب المعاينة الذي سوف يتبعه . وإذا كان الباحث ينوي تعميم النتائج على المجتمع فيجب أن تكون العينة المستخدمة ممثلة لهذا المجتمع والمعاينة التي يزيد احتمال تمثيلها للمجتمع هي المعاينة باستخدام إحدى الطرق العشوائية والمعاينة العشوائية الاحتمالية تسمح للباحث بتقدير درجة انحراف قيم العينة عن معالم المجتمع .

٣- **بناء الأدوات من المهام الرئيسية في البحوث المسحية** بناء الاداة التي سوف يستخدمها الباحث في جمع البيانات والنوعان الأساسيان لأدوات جمع البيانات التي تستخدم في البحوث المسحية هي الاستبيان والمقابلة .

٤- **إجراء الدراسة المسحية :** بعد الانتهاء من إعداد أداة جمع البيانات يجب اختبارها مبدئياً للتأكد من صلاحيتها لجميع البيانات المطلوبة . وتتضمن هذه الخطوة كذلك تدريب مساعدي الباحث على تطبيق الأدوات فإذا كانت الأداة المستخدمة هي المقابلة درب مساعدي الباحث على المقابلة . أما إذا كانت الأداة المستخدمة هي الاستبيان فيدرّب مساعدي الباحث على كيفية توزيع الاستبيان .

٥- **معالجة البيانات :** تتضمن الخطوة الأخيرة ترميز البيانات والتحليل الإحصائي وتفسير النتائج وإعداد التقرير النهائي للبحث .

اساليب جمع بيانات البحوث المسحية :

هناك طريقتان لجمع البيانات في البحوث المسحية هما المقابلة والاستبيان ولكل منها وسيلتان وبذلك يكون لدينا اربع طرق لجمع البيانات :

- ١- المقابلة الشخصية .
 - ٢- المقابلة على الهاتف .
 - ٣- الاستبيان المرسل بالبريد .
 - ٤- الاستبيان المطبق بطريقة مباشرة .
- ولكل منها خصائصه ومزاياه وعيوبه

١- المقابلة المباشرة : هي المقابلة الشخصية يلقي المقابل الاسئلة على المستجيب وجها لوجه. ويسجل الاجابات ومن أهم مظاهر المقابلة هي مرونتها, فلدى المقابل فرصة ملاحظة المستجيب والموقف الكلي الذي يستحب فيه , ويمكن تكرار السؤال أو شرح معناه في حالة عدم فهم المستجيب .

ومن المزايا الأخرى معدل الردود المرتفع ويقصد به نسبة من يوافقون على الاشتراك في المقابلة أو رد الاستبيان بعد الاجابة عليه ومعدل الردود في المقابلة مرتفع جدا قد يصل ٩٠% أو اكثر وذلك أن الاتصال الشخصي يزيد من احتمال مشاركته الفرد واعطائه المعلومات المطلوبة, ما في حالة ارسال الاستبيان بالبريد فأن الاتصال الشخصي معدوم مما يزيد من احتمال عدم تعاون الناس . ويترتب على هذا انخفاض شديد في الردود .

والعيب الرئيسي في اسلوب المقابلة الشخصية هو أنها اكثر تكلفة من الادوات الأخرى لجمع البيانات في البحوث المسحية ويزيد من تكاليف المقابلة اختيار وتدريب المقابلين الذين عليهم أن ينتقلوا من مكان لأخر لأجراء المقابلة .

وهناك عيب اخر هو احتمال تحيز المقابل ويحدث عندما تؤثر مشاعر المقابل واتجاهاته وغير ذلك فقد يشجع المقابل لفظيا أو بالتلميح والاستجابات التي تتفق وتوقعاته ووجد أن نوع المقابل (ذكر وأنثى) يمكن أن يكون عاملا في الموقف اذ عندما تحدث النساء مع مقابلات نساء الذكور مع مقابلين ذكور اعطيت استجابات مؤيدة للإجهاض اكثر من ما لو اختلف نوع المقابل والمستجيب واحد المشكلات الأخرى هو التحيز الناتج عن المرغوبية الاجتماعية ويحدث عندما يريد المستجيب أن يسر المقابل بإعطائه استجابات مقبولة .

٢- المقابلة على الهاتف ازداد استخدام المقابلات الهاتفية في الأونة الاخيرة اظهرت دراسات حديثة أن هذا النوع من المقابلات لا يختلف عن المقابلة الشخصية التي تتم وجها لوجه .

ومن مزاياها هي انخفاض التكاليف والسرعة النسبية وانتشار افراد العينة في مناطق جغرافية أوسع لذلك يمكن اجراء الدراسات المسحية كبيرة في المدن الرئيسية بدلا من ارسال المقابلين مناطق بعيدة قد تكون غير امنة لهم . وميزة اخرى أن المستجيب يكون لديه الشعور بأنه غير معروف للمقابل مما يوفر عليه حرية اكبر في الاستجابة كما يقلل التحيز الناجم عن المرغوبية الاجتماعية. وميزة اخرى هي إمكانية استخدام الحاسوب الآلي في ادراء المقابلات

وترميز الاستجابة فور الحصول عليها وفي هذا النوع من المقابلة يضع المقابل الساعات على الأذنين ويجلس امام الالي .

اما عيوبها فهي عدم القدرة على اقامة علاقة الفة بين المقابل والمستجيب وذلك عكس المواقف الي تحدث في المقابلات الشخصية وجها لوجه وتحتاج المقابلة الهاتفية الى مهارات حتى يمكن الحصول على استجابات صادقة . وهناك عيب اخر المنازل التي ليس بها هواتف والهواتف المسجلة وغير المسجلة تستبعد اليا من العينة مما يؤثر على النتائج ويودي الى تحيزها .

٣- الاستبيان المرسل بالبريد : المقابلات الشخصية المباشرة التي يتقابل فيها فردان فقط (المقابل والمستجيب) تستهلك كثيرا من الوقت ومكلفة للغاية وكثير ما يمكن الحصول على نفس المعلومات باستخدام استبيان يرسل بالبريد الى كل فرد من افراد العينة مع خطاب مرفق يطلب استكمال الاستبيان واعادته خلال الموعد المحدد يمكن ارسال الاستبيان الى اشخاص يعيشون في نائية متفرقة وهذا امر يصعب تنفيذه في المقابلة الشخصية .

ومن مزايا ضمان السرية وعدم معرفة اشخاص المستجيبين مما يساعد على الحصول على استجابات اكثر صدقا من التي نحصل عليها في المقابلة الشخصية ففي المقابلة الشخصية كثير ما يتردد الفرد في التعبير عن آرائه التي قد لا تكون مقبولة اجتماعيا أو سياسيا اما الاستبيان المرسل فهو يستبعد هذه المشكلة .

ومن عيوبه إمكانية سوء تفسير الاسئلة من جانب المستجيبين فمن الصعب صياغة الاسئلة تكون واضحة لجميع الافراد فالباحث قد يعرف بالضبط المقصود من السؤال ولكن الصياغة قد تكون غير واضحة كما أن نسبة كبيرة من الامية لا تستطيع القراءة والكتابة وهؤلاء لا يمكنهم الاستجابة وايضا انخفاض نسبة الردود فمن السهل على الشخص أن يتسلم استبياننا بينما دراسة أن هناك فرقا منتظما بين خصائص المستجيبين وغير المستجيبين للاستبيان فعادة ما تكون نسبة الردود اعلى بين الافراد الاكثر ذكاء والاعلى تعليما والهدف في الدراسات التي تستخدم الاستبيان هو الحصول على نسبة ردود تبلغ ١٠٠٪ وأن كآنت النسبة الواقعية تتراوح بين ٧٥ و٩٠٪

ووجد عوامل تؤثر سلبا على نسبة الردود واهم هذه العوامل هي :

- طول الاستبيان .
- الخطاب المصاحب للاستبيان .
- الهيئة المشرفة على الاستبيان .
- جاذبية الاستبيان .
- سهولة الاستجابة للاستبيان واعادته .
- ما يثير محتوى الاستبيان من اهتمام لدى المستجيب .
- استخدام الحوافز المادية .
- اجراءات متابعة الرد على الاستبيان .

٤- الاستبيان المطبق بطريقة مباشرة : الاستبيان الموزع بشكل مباشر هو الاستبيان الذي يوزع على مجموعه من الافراد مجتمعين في مكان واحد لغرض معين من امثلة ذلك الاستبيانات الموزعة على طلبة الجامعة في قاعات الدراسة أثناء حضورهم المحاضرات (بعد موافقة استاذهم المقرر) لاستطلاع رأيهم حول بعض القضايا الاجتماعية أو الاستبيان الموزع على مرحلة الثانوية

لاستطلاع رأيهم حول الامتحانات أو رغباتهم في نوع المقررات التي يرغبون التخصص فيها في الثانوية العامة ومثل هذه الحالات يسهل الحصول على عينات كبيرة من الطلبة توزع عليهم استمارات الاستبيان .

والميزة الاساسية للاستبيانات الموزعة هي الحصول على نسبة مرتفعة من الردود التي كثيرا ما تصل الى ل ١٠٠ ومن المزايا الاخرى انخفاض التكاليف وحضور الباحث أو مساعديه لتقديم أي مساعدة ومن عيوب هذا النوع من الدراسات هو أن الباحث مقيد بوقت ومكان توزيع الاستبيان نظرا لأن العينة عادة خاصة (طلبة في الجامعة) .

اختيار عينة البحوث المسحية :

سبق لنا أن ناقشنا اختيار العينة والوسائل المختلفة للمعاينة والعوامل المؤثرة في حجم العينة وسوف نناقش فيما يلي حجم العينة في البحوث المسحية .

من الاشياء التي يجب أن يحددها الباحث في وقت مبكر من الدراسة حجم العينة التي يحصل عليها كيف يحدد الباحث حجم العينة البحث المسحي ؟ يعتقد كثير من الباحثين أن حجم العينة لا يجب أن يقل عن ١٠٪ من المجتمع الا أن هذا ليس امرا بالضرورة فعلى العكس من هذا الاعتقاد تتحدد دقة النتائج بالحجم المطلق للعينة وليس بنسبتها مثال ذلك أن عينة مقياس وكسلر لذكاء الاطفال بلغت في الولايات المتحدة الامريكية ٢٢٠٠ فردا وقد قنن نفس الاختبار في المجتمع الكويتي وفي المجتمعات الاخرى العربية باستخدام نفس حجم العينة ويلاحظ أن نسبة كل عينة من هذه العينات لمجتمعها مختلفة تماما في كل المجتمعات التي سحبت منها العينة .

والعامل الرئيسي الذي يجب أن ن فكر فيه عند تحديد حجم العينة هو درجة الدقة التي نرغبها في تقدير معالم المجتمع وما مقدار الخطأ الذي يريد الباحث أن يسمح به عند تعميم نتائج العينة على المجتمع واذا استخدم الباحث العينة العشوائية الاحتمالية يكون لديه تقدير عن احتمال انحراف نتائج العينة عن قيم المجتمع, أي ما يعرف بهامش الخطأ , لحجم محدد للعينة وفي هذه الحالة نختار حجما للعينة يمكن الباحث من الحصول على نسبة ثقة في النتائج قدرها ٩٥٪ .

والعينات في الدراسات المسحية ليس لها معنى في حد ذاتها. فدقة العينة تكمن في دقتها في تمثيل المجتمع الذي يهدف اليه البحث. ومجتمع الهدف يتكون عادة من المؤسسات, والاشخاص, والمشكلات, والنظم التي سوف تعمم عليها النتائج.

تساعد العينات على تركيز الانتباه على خصائص موضع الاهتمام مثال ذلك اذا أراد الباحث مقارنة الاباء الاكبر والاصغر سنا فإنه مكن اختيار عينة طبقية عشوائية لذلك تكون العينة تحديدا واضحا افضل من معظم الدراسات المسحية من دراسة المجتمع كاملا والاهم أن يتأكد الباحث من الاسلوب الذي استخدمه في اختيار العينة يساعد على اختيار عينة ممثلة لخصائص المجتمع الذي يريد دراسته .

وقد أوردت فنك قائمة مراجعة تحدد للباحث خطوات اختيار العينة في البحوث المسحية

- ١- تحديد اهداف دراسة المسحية بدقة .
- ٢- تحديد خصائص المستجيبين الذين يصلحون للمشاركة في الدراسة المسحية .
- ٣- اختيار اساليب صارمة لاختيار العينة .
- ٤- تحديد المجموعة الفرعية .
- ٥- تعريف نوع الدراسة المسحية واحتياجات جمع البيانات .

المراجع

- ١- جابر، جابر عبد الحميد، احمد كاظم، ١٩٧٨م: مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة.
- ٢- الجزولي، عبد الحفظ عبد الحبيب، الدخيل ، محمد عبد الرحمن ، ٢٠٠٠م: طرق البحث في التربية والعلوم الاجتماعية الاسس والاجراءات والتطبيق والتحليل الاحصائي: دار الخريجي للنشر ، الرياض .
- ٣- ذوقان عبيدات واخرون : البحث العلمي مفهومه ، ادواته، اساليبه مصححة ومنقحة : دار الفكر ، عمان.
- ٤- فاخر ، عاقل : اسس البحث العلمي في العلوم السلوكية ، بيروت : دار العلم للملايين.
- ٥- القحطاني، سالم سعيد ، العامري ، احمد سليمان ، المذهب، معدي، بدران عبد الرحمن، 2004 م : منهج البحث في العلوم السلوكية ، الرياض .
- ٦- ابو علاء ، رجاء محمد ، 2006 م: مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية: دار النشر للجامعات ، القاهرة.
- ٧- المحمودي، محمد سرحان علي. (٢٠١٩). مناهج البحث العلمي. ط٣. دار الكتب.
- ٨- الجادري، عدنان وقنديلجي، عامر وبني هاني، عبد الرازق وأبو زينه، فريد. (٢٠٠٦). مناهج البحث العلمي الكتاب الاول أساسيات البحث العلمي. مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.
- ٩- عليان، ربحي مصطفى. (٢٠٠٨). البحث العلمي أسسه مناهجه وأساليبه إجراءاته. بيت الأفكار الدولية.
- ١٠- الدليمي، عصام حسن وصالح، علي عبد الرحيم، (٢٠١٤). البحث العلمي أسسه ومناهجه. دار الرضوان للنشر والتوزيع.
- ١١- شحاتة، حسن، (٢٠٠١). البحوث العلمية والتربوية بين النظرية والتطبيق. مكتبة الدار العربية للكتاب.
- ١٢- الضامن، منذر، (٢٠٠٦). أساسيات البحث العلمي. دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- ١٣- حسن، أحمد وماضي، أحمد ونجا، أحمد وسيد، أسامة وأبو جبارة، أمجد وحسين، إسلام والأشموني، خالد وسليمان، رشا وزهران، محمد وعطالله، معتز، (٢٠١٨). أساسيات البحث العلمي الإصدار الأول. علماء مصر
- ١٤- سليمان، سناء محمد. (٢٠١٠). أنوات جمع البيانات في البحوث النفسية والتربوية. عالم الكتاب.
- ١٥- النعيمي، محمد عبدالعال، والبياتي، عبدالجبار توفيق وخليفة، غازي جمال. (٢٠١٥). طرق ومناهج البحث العلمي. الوراق للنشر والتوزيع.
- ١٦- عبدالعزيز، سلوى رمضان وعبدالعزيز، محمد عبدالعال. (٢٠٢٣). البحث في الخدمة الاجتماعية. جامعة الفيوم.
- ١٧- مركز البيان للدراسات والتخطيط. (٢٠١٧). خطوات كتابة البحث العلمي في الدراسات

- الإنسانية. سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط.
- ١٨- جاسم، غادة محمود. (٢٠٢٠). عرض النتائج- تنظيمها وتحليلها ومناقشتها- الجداول والرسوم- بعض الأخطاء. جامعة المستنصرية.
- ١٩- عباس، محمد خليل ونوفل، محمد بكر والعبسي، محمد مصطفى وأبو عواد، فريال محمد. (٢٠١٤). مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس (ط٥). دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. عمان.
- ٢٠- قلش، عبدالله. (٢٠١٧). منهجية البحث العلمي. جامعة حسبية بن بوعلی الشلف
- ٢١- درويش، عطا حسن وصالح، نجوى فوزي وأبو صقر، وسيم خضر وكلخ، محمد راتب، (د.ت). دليل معايير جودة البحث العلمي.
- ٢٢- عبيدو، علي ابراهيم على، (٢٠١٤). جودة البحث العلمي الأخلاقيات- المنهجية- الأشراف- كتابة الرسائل والبحوث العلمية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- ٢٣- عقيل، حسين عقيل، (٢٠١٠). خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة. دار ابن كثير للنشر والتوزيع.
- ٢٤- زايد، مصطفى. (١٩٩٩). قاموس البحث العلمي. النسر الذهبي للطباعة.
- ٢٥- بناي، نوال، وزايد، غنية. (٢٠٢٢). أثر جودة الحياة الأسرية لدى المتفوقين دراسياً (دراسة ميدانية). مجلة دراسات وأبحاث، ١٥ (١)، ٦٢٧-٦٣٧.
- ٢٦- عبدالجليل، طواهر وعبدالباسط، ميدون. (٢٠٢٢). الدراسات السابقة في البحوث العلمية. مجلة القبس للدراسات النفسية والاجتماعية، ١٣ (٤)، ١٠٤-١١٥.
- ٢٧- حيرش، أمينة وهزرشي، طارق. (٢٠٢٢). أهمية تحليل الدراسات السابقة لزيادة القيمة العلمية والعملية للبحث العلمي. مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، ٧ (٦)، ٣٨٨-٣٩٩.